مجلة الرائد

العدد : ٢٤٢ الموافق في ربيع الأول ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٤ ميلادي

عنوان المقال :الحرب على العراق محنة كاشفة	الكاتب :مدير التحرير

حين أعلنت أمريكا عزمها على الذهاب إلى العراق اهتزت دوائر متعددة في العالم ، وبدأت دول وجماعات ومنظمات أممية وإقليمية بمراجعة حساباتها في محاولة لاستشراف المستقبل في ضوء التصميم الأمريكي على ضرب العراق والسيطرة على مقدراته ، ورافق الإعلان الأمريكي تصريحات جعلت النظام العربي يهتز فَرَقاً من نوايا البيت الأبيض ، وأثار الإصرار الأمريكي على الانفراد بقيادة حملة تغيير النظام العراقي مخاوف قوى عالمية ؛ فهبت تذكّر بالشرعية الدولية وتحذر من التصرفات المنفردة بعيداً عن القرار الأممي المشترك ، ولم تتردد المرجعيات الدينية المعتبرة في إبداء مخاوفها من النبرة الدينية للرئيس الأمريكي ، والتي توحي بأن ما يقوم به مهمة خاصة يتقرب بها إلى الرب ، وهذا سيفتح باب الصراعات الدينية على مصراعيه ، وانعكست المواقف على الشعوب فحركت الملايين الذين انطلقوا في أنحاء الأرض ، وبخاصة في أمريكا وأوروبا ، للتعبير عن رفضهم لأهداف الإدارة الأمريكية الجشعة ولوسائلها التدميرية .. إلخ .

فما هي حقيقة أهم المواقف ؟ وما هي الدوافع الكامنة وراءها ؟

أولاً : النظام العربي .. والشعوب العربية

يكاد يجمع أهل الرأي على أن النظام العربي – بملوكه وسلاطينه وأمرائه ورؤسائه – نظام قمعي سلطوي مستبد ، وأن هذه الأنظمة ، على تباين مشاربها ، كانت موضع تأييد أمريكي ، على الرغم من اختلاف أمريكا – أحياناً – مع هذا النظام أو ذاك على جزئيات صغيرة .

ويلمِّح كثير من المحللين إلى أن أمريكا " بوش " باتت مقتنعة بأن القطيعة التي بين الشعوب العربية وأنظمة الحكم لا أمل في إصلاحها ، وأن هذه الأنظمة " الصديقة " تشوه صورة أمريكا في أعين العرب ، ورأت أن المناداة بتغيير الأوضاع السياسية ضرورة ، وأن سيتم بالقوة إذا لم يتخذ الحكام العرب إجراءات التغيير وفق المواصفات الأمريكية!! .

ولا يخفى أن أي تغيير في صيغة النظام العربي سيؤدي إلى زوال هذه الأنظمة ، لذلك ستقاوم التغيير حتى وإن دعت إليه أمريكا ، لأن الحكام العرب يعلمون أن الإدارة الأمريكية تريد إعادة ترتيب الأوضاع لتحقق لها الصيغة الجديدة مزيداً من السيطرة .

والشعوب تدرك ذلك أيضاً ، ولذا فإنها تتجرع الآلام بعد الآلام وتصبر ، لأن أي تحرك في اتجاه المطالبة بتصحيح الأوضاع الداخلية ، والتي تساعد على التصدي بجدية واقتدار للمخاطر الخارجية ، سوف يجابه بعنف من أدوات قمع الأنظمة ، وهذا الصراع إذا تفجر فإن مآسيه ستزيد العباد والبلاد ضعفاً إلى ضعف ، وهذه البيئة مناسبة لنصب الشباك الأمريكية ..

وجاءت قضية فلسطين .. فعرَّت انتفاضة أهلها الأبطال " النظام " العربي الذي وقف مكتوف اليدين أمام التقتيل والتدمير واستباحة الحرمات .. ولم تصدر عن القمم العربية إلا عبارات الشجب والردح والتوسل لدى أمريكا .. لعلها تجد حلاً يحفظ ماء الوجوه .. كما يقال!! .

وأحس الحكام العرب بالخطر من نوايا أمريكا الموجهة إلى العراق .. فاجتمعوا وأصدروا بيانات متتابعة مكرورة .. فرفضوا الحرب ، وطالبوا بأن يلتزم الجميع بالشرعية الدولية ، وناشدوا الحكومة العراقية بألا تعطي مبررات لأمريكا تدفعها إلى إقناع الآخرين بتدمير العراق ، وقرروا بأنه **لا يجوز أن يشارك أي بلد عربي في القتال ضد العراق مع القوات الأمريكية وحلفائها .**

فهل كان الحكام العرب صادقين في قراراتهم ؟

لو أخذنا – على سبيل المثال – قرارهم بتحريم المشاركة في العدوان على العراق ، وناقشناه لوجدنا أننا نحتاج إلى قاموس جديد ، غير متوفر في الأسواق ، من أجل فهم مرادهم!! . فهل يصدق عاقل أن هذا القرار لا يشمل دول الخليج التي فتحت أراضيها وأباحت مياهها للقوات الأمريكية وحلفائها ، وأن هذا القرار لا يشمل " المدن العسكرية " و " القواعد العسكرية " و " الدعم الخدماتي " ، المقدم لمئات آلاف الجنود ومعداتهم ؟! .

ولم يقف الأمر عند دول الخليج بل تعداه إلى معظم الدول العربية التي باتت ملتزمة – عملياً – بضبط الشارع العربي ، ومنعه من التعبير عما يثور في نفسه من الآلام! .

لقد كشفت محنة العراق عن هشاشة النظام العربي ، وكشفت عن حالة الغثائية التي تعيشها معظم الأنظمة العربية ، صحيح أننا لسنا في حاجة إلى أدلة على الحالة المستنقعية التي تسيطر على الوضع العربي الرسمي .. ولكننا ظننا أنهم إذا أهينوا مباشرة فقد تتحرك فيهم بقايا الكرامة .. وقد يدفعهم هذا إلى مراجعة

علاقتهم مع الشعوب، وإلى التفكير الجاد في الانحياز إلى خيارات الأمة .

إننا نخشى أن يؤدي الوضع الراهن إلى تجمع عوامل الانفجار .. وهذا إذا وقع فإنه سيكون كارثة رهيبة .. وهل يشك عاقل في أن أعداء الأمة يتطلعون إلى هذا المصير ؟! ، لذلك فإننا ندعو الحكام والشعوب إلى التصالح والتعاون على توليد رؤية للواقع تخرج بالأمة إلى مستقبل أفضل وأكرم بعيداً عن هيمنة أمريكا وحلفائها .

ثانياً : القوى المنافسة لأمريكا

وهذه القوى متعددة ، ويأتي في مقدمتها فرنسا وروسيا وألمانيا ، وقد تزعمت هذه الدول التيار الرافض للانفراد الأمريكي بالقرار ، والداعي إلى إدارة الأزمات من خلال الشرعية الدولية التي توفرها الأمم المتحدة .

وليس سراً أن هذه الدول لا تختلف مع أمريكا في قضية العراق وغيرها على المقاصد ، فالجميع يرون ما تراه أمريكا بخصوص أسلحة العراق ، ولكنهم يختلفون معها في تفردها بالقرار ، وربما في منهجية العمل لتحقيق المطلوب ، فهم يرحبون في أن يكونوا " شركاء لأمريكا وقت التفكير وعند التخطيط والتنفيذ ، ويتحملون – عندئذٍ – معها تكاليف القرار المشترك .

أما أمريكا .. فإنها ترى أن الوقت قد حان لولادة نظام جديد يخولها قيادة العالم من البيت الأبيض والكونغرس الأمريكي ، وأن ذهابها إلى العراق سيضع في يدها عنق العالم ، ولا تريد شركاء في هذا الأمر ، بل ترحب بالحلفاء ، وهذا ما يشعر الآخرين بالهامشية وأنهم سيكونون ملحقين بأمريكا ، ولذلك يجادلون ، وربما تطور هذا الجدل إلى صراع سياسي واقتصادي ، ويتوقع كثيرون ولادة أقطاب تنازع أمريكا وترفض هيمنتها المطلقة .

لقد كشفت محنة العراق النوايا العدوانية لأمريكا .. والتي لا تقف عند حدود من تراهم أعداء .. بل تشمل حتى الأصدقاء والحلفاء الحاليين .

ثالثاً : موقف الكنائس

أحست الكنائس (الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية) أن بوش وعدداً ممن حوله ينطلقون من خلفية توراتية تمثل قراءة لنصوص دينية تلزمهم بإثارة الحروب ، والتمكين لدولة اليهود ، وهذا التيار الذي يتعامل معه بوش له وجود في مراكز مالية وسياسية ، ولا توافق مرجعيات الكنائس المسيحية على قراءة هذا التيار . وقد سارع المسؤولون في الكنائس المعتبرة إلى التنديد بالحرب المعلنة على العراق ، واعتبروا أن هذه الحرب - بالإضافة إلى الدعم الأعمى لما تقوم به " إسرائيل " - ستزرع أحقاداً بين المسلمين والمسيحيين ، ولا سيما أن بوش يُضَمِّن أحاديثه المعاني الدينية التي توحي أنه عازم على " حرب صليبية "!! .

وهذا الموقف من الكنائس مشكور ، ونطالب بأن يستمروا في تعرية الخطاب الأمريكي من صبغته الدينية ، وأن يطالبوا أتباعهم بدور أكثر فاعلية في التصدي لتجار الحروب .

رابعاً : الشعوب

لقد كشفت الأزمة العراقية .. قبل الحرب وأثناءها .. عن وجود شعور عميق بالخطر الذي تمثله الإدارة الأمريكية ، وأماطت اللثام عن وجود تيار عريض محب للسلام ومناوئ للغطرسة والاستغلال والهيمنة وقتل الإنسان .

إن الملايين التي خرجت في أنحاء الأرض .. لم يخرجوا تأييداً لنظام الحكم العراقي .. فطبيعته الاستبدادية معروفة مكشوفة .. ولكنهم أدركوا أن الذي تسعى إليه أمريكا ليس له علاقة بالنظام في العراق .. فقد كانت أمريكا متعاونة معه في مراحل متعددة .. ولكنها تريد نفط العراق ، والموقع " الاستراتيجي " والهيمنة من خلاله على المنطقة الغنية بالطاقة ، وبوضعها اليد على مصادر الطاقة تمسك بتلابيب العالم مدة مائة عام على الأقل .. وهذا ما ترفضه الشعوب الحرة .. لأن ثمنه إبادة للإنسان وصراعات مفتوحة على امتداد الأرض .

عنوان المقال :الحرب على العراق محنة كاشفة	الكاتب :مدير التحرير

وبعد : فهذه جولة في عدد من الساحات التي كشفت محنة العراق عن جوانب مرعبة فيها .. وأعطت أيضاً بوارق أمل في التصدي لأفكار التسلط والقمع التي تتبناها الإدارة الأمريكية .. تفرض على المسلمين أن يفهموا الواقع وأن يتعاونوا مع كل رافض للظلم والظالمين في كل مكان .

ولا يفوتنا أن نؤكد على وجوب مد الجسور مع غير المسلمين وبناء العلاقات والصداقات التي تجعل من التعارف وسيلة لتحقيق الخير ودفع الشر .

ولا شك في أن الأيام القادمة ستؤثر من خلال محنة العراق في رسم ملامح مستقبل العلاقات الدولية وبين الأديان والثقافات ، ويجب على حملة رسالة الإسلام أن يساهموا في تفويت الفرصة على الذين يقرعون طبول " حرب الحضارات " ، فمحنة العراق توفر أدلة كافية على أن الحوار هو سبيل التفاهم والتعاون بدلاً من التقاطع والتخاصم .

ولا تنسوا معشر المسلمين أن الحوار الهادف إلى دعم جوانب الخير والفضيلة لا يجيده أقزام النفوس والعقول والأخلاق .. فإذا رأيتم من يركز على ثقافة التقاطع والمواجهة مع الآخرين فاعلموا أنه في أمس الحاجة إلى فقه قوله تعالى في وصف رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم : { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** } [الأنبياء : ١٠٧] .